

إثبات

الألف وحذفها وأثره في التفسير

دراسة في سورتي الفاتحة والبقرة

إعداد

الدكتور حسن عبد الجليل عبد الرحيم على العبدلة^١

المقدمة

الحمد لله الذي أنارت معرفته قلوبَ العارفين، ومحقت أنوارَ هدایته ظلامَ الجاهلين، وأشراقَ علمِه في صدورِ العلماءِ العاملين بصيرةً يهدون بها إلى الصراط المستقيم، فقال سبحانه وتعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^٢، والصلوة والسلام على رسوله الكريم، سيدنا

١ - قسم القراءات القرآنية بجامعة البلقاء التطبيقية بالمملكة الأردنية الهاشمية.

٢ - سورة يوسف آية ١٠٨.

وحببنا محمد هادي الأمم، وكاشف الغم، مبلغ الرسالة، ومؤدي الأمانة على وجهها الأثم، وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغرميامين، ومن تبعهم بياحسن إلى يوم الدين، وبعد.

فإن أهمية العلوم إنما تكون بمضمونها، وأهمها على الإطلاق ما يتعلق بكتاب الله عز وجل، وعلم القراءات القرآنية من أوشج العلوم صلة بالقرآن الكريم، لأنها تتضمن أوجه أدائه قراءاته - التي يفهم ويعلم بها القرآن الكريم، إضافة لما تحويه من إثراء للمعاني القرآنية الكريمة. وهذا أمر لم يغفله العلماء المتقدمون رحمهم الله تعالى، وحاولوا الإفادة منه في بعض المبادين؛ فعلماء التفسير استشهدوا بالقراءات القرآنية في تفسيرهم للآيات القرآنية، وعلماء الفقه استشهدوا ببعض أوجه القراءة القرآنية دليلاً لما تبنوه من أحكام فقهية ... إلا أنهم لم يفردوا أثر القراءات القرآنية في التفسير ببحث مستقل، وهذا لا يعد تقصيراً منهم، بل كل واحد من العلماء يدلي بدلوه ويهب لأهل العلم ثمرة جهده في مجاله واختصاصه. وهذا أدللي بدلوي وأحاول أن أضع لبنة متواضعة في هذا الصرح العلمي، بهذا الموضوع الذي أتحدث فيه عن أثر القراءات القرآنية المتواترة في التفسير، حيث بدأت بسورتي الفاتحة والبقرة، فقمت باستخراج الآيات الكريمة التي تتتنوع أوجه قراءتها، وجمعت المادة العلمية الالزامية لإتمام البحث، لكنني وجدتها طويلة، فقمت بتقسيم القراءات القرآنية الكريمة الواردة في هاتين السورتين إلى ثلاثة أقسام ؛ الأول يمكن تنوع القراءات فيه بتتنوع الحركات، نحو قوله تعالى «**فَلَقَى آدُمْ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ**»

و«فَلَقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ»^١، والثاني بابدال الحروف، نحو قوله تعالى «وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ تُنْشِرُهَا ثُمَّ تُكْسُوْهَا لَحْمًا» و«نَشَرُهَا»^٢، والثالث باثباتات الألف وحذفها. وقد أفردت كل قسم منها ببحث مستقل، وما سأبحثه الآن -بإذن الله تعالى- أحد هذه الثلاثة، حيث تنوع القراءات يكون باثباتات الألف وحذفها.

أما منهجي في هذا البحث؛ فإني قمت بجمع الآيات القرآنية الكريمة التي تتتنوع أوجه قراءتها باثباتات الألف وحذفها، ثم رتبتها وفق ورودها في المصحف الشريف، وأشارت إلى القراءات القرآنية الواردة فيها، ثم أظهرت بعض أقوال أهل التفسير فيها، واجتهدت رأيي في إظهار أثر الجمع بين القراءات في التفسير، وما تؤديه من معانٍ إضافية. فإن أصبت ذلك الفضل من الله، وإن أخطأت فمن نفسي وتقصيرِي.

المبحث الأول: قوله سبحانه وتعاليٰ «مَالِكٌ يَوْمَ الدِّين»^٣.

المسألة الأولى: القراءات الواردة في هذه الآية الكريمة:

تنوعت أوجه الأداء في قوله تعالى «مالك» على وجهين بيتهما أهل الاختصاص على النحو الآتي:

^١- سورة البقرة آية ٣٧.

^٢- سورة البقرة آية ٢٥٩.

^٣- سورة الفاتحة آية ٤.

قال ابن مجاهد ^{رحمه الله} - : "اختلفوا في قوله ﴿مَالِكٍ يَوْمٍ الدِّين﴾ في إثبات الألف وإسقاطها؛ فقرأ عاصم ^{والكسائي} ^{مالك يوم الدين}

- ابن مجاهد؛ الإمام المقرئ المحدث النحوي شيخ المقرئين أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي مصنف كتاب السبعة ولد سنة ٢٤٥ أخذ الحروف عرضاً عن طائفة وانتهى إليه علم هذا الشأن وتتصدر مدة، وقرأ عليه خلق وكان ابن مجاهد صاحب لطف وظرف يجيد معرفة الموسيقى وكان في حلقته من الذين يأخذون على الناس أربعة وثمانون مقرئاً توفي في شعبان سنة ٣٢٤، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٦٧٣-٦٨٤هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ الطبة التاسعة ٢٧٢/١٥ - ٢٧٣.

- عاصم المقرئ أبو بكر عاصم بن أبي النجود مولى بنى جذيمة بن مالك بن نصر كان أحد القراء السبعة والمشار إليه في القراءات توفي بالكوفة سنة ١٢٧ رحمه الله تعالى. محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (٣٥٤)، مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: م. فلايشهمر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٥٩، ١/١٦٥. وينظر أبو العباس شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن خلkan (٦٠٨-٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: د.إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٨م ، ٣/٩.

- علي بن حمزة بن بهمن بن فیروز الأسدی مولاهم الكوفي المعروف بالإمام المعلم المقرئ أخذ القراءة عن حمزة الزيارات وقرأ النحو على معاذ ثم على الخليل ثم خرج إلى بوادي الحجاز ونجد وتهامة وكتب عن العرب كثيراً توفي بطوس سنة ١٨٩. محمد بن يعقوب الفیروز أبادی (٧٢٩-٧٨١هـ)، البلقة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق: محمد المصري، الكويت، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٧هـ، الطبة الأولى ١٥٢-١٥٣.

الدين》 بـألف وقرأ الباقيون 《ملك》 بغير ألف... وحجة من قرأ مالك قوله تعالى: 《قُلِ اللَّهُمَّ مَا لِكَ الْمُلْكُ》^١ ولم يقل ملك الملك. ومالك أمدح من ملك لأنه يجمع الأسم والفعل، وروى بسنده عن أبي عمرو^٢ قوله: 《مَلِكٌ تَجْمَعُ مَالِكًا وَمَالِكٌ لَا يَجْمَعُ مَلِكًا》， وحجة من قرأ ملك قوله تعالى: 《مَلِكُ النَّاسِ》^٣ وقوله تعالى 《الْمَالِكُ الْقُدُوسُ》^٤ .

^١- سورة آل عمران آية ٢٦.

^٢- أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي ثم المازني البصري شيخ القراء والعربيه وأمه من بني حنيفة مولده في نحو سنة سبعين وانتصب للقراءة في أيام الحسن البصري. قال أبو عبيدة: كان أعلم الناس بالقراءات والعربية والشعر وأيام العرب وفاته كانت في سنة أربع وخمسين ومائة. قال الأصمسي: عاش أبو عمرو ستة وثمانين سنة وقال خليفة بن خياط وقيل سنة سبع وخمسين ومائة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٦/٤٠٧ - ٤١٠.

^٣- سورة الناس آية ٢.

^٤- سورة الحشر آية ٢٣.

^٥- أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي ابن مجاهد (٢٤٥-٥٣٢)، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: د.شوقى ضيف، القاهرة، دار المعارف، ١٤٠٠هـ (٢٠١٤)، ص ١٠٤. وينظر الحسين بن أحمد أبو عبد الله ابن خالويه (٣١٤-٣٧٠هـ)، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: د.عبد العال سالم مكرم، بيروت، دار الشروق، ١٤٠١هـ (٤٤)، ص ٦٢، وأبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، حجة القراءات ، تحقيق: سعيد الأفغاني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م الطبعة الثالثة، ص ٧٧-٧٩، وأبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤هـ)، الأحرف السبعة لقرآن، تحقيق: د.عبد المهيمن طحان، مكة المكرمة، مكتبة المنارة، ١٤٠٨هـ الطبعة الأولى،

المسألة الثانية: من أقوال المفسرين في هذه الآية

دارت أكثر أقوال المفسرين في بيانهم لمعنى هذه الآية الكريمة على بيان معنى كل وجه من أوجه القراءة الواردة فيها، وبيان أي القراءتين أمدح في حق الله سبحانه وتعالى، ويظهر ذلك جلياً في أقوالهم.

فها هو ابن جرير الطبرى^١ - رحمه الله - يقول: "تأويل قراءة من قرأ ذلك ﴿مَالِكُ يَوْمَ الدِّين﴾ أنَّ اللَّهَ الْمَلِكُ يَوْمَ الدِّينِ خالصاً دون جميع خلقه الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكاً جباراً ينazuونه الملك ويدافعونه الانفراد بالكربلاء والعظمة والسلطان والجبرية، فلينقوا

ص ٤، ولدانىي. أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت ٤٤٥هـ)، التيسير في القراءات السبع، تحقيق: أوتو تريزيل، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٤م الطبعة الثانية، ص ١٨، ومحمد بن مكرم الأفريقي المصري ابن منظور (٦٣٠-٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر الطبعة الأولى ٤٩١/١٠.

١- الحبر البحر الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى صاحب التفسير والتاريخ والمصنفات الكثيرة ، كان مجتهدا لا يقلد. قال إمام الأئمة ابن خزيمة: ما أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير. وقال أبو حامد الأسفاراني الفقيه: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيراً. مولده بأمل طبرستان سنة ٢٢٤، وتوفي ليومين بقياً من شوال وكان ذا زهد وقناعه وتوفي ببغداد. كانت الأئمة تحكم بقوله وترجع إلى رأيه لمعرفته وفضله. جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره. عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقى ١٠٣٢هـ-١٠٨٩، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٦٠/١.

بـلقاء الله يوم الدين أنهم الصَّغِرَةُ الْأَذْلَةُ وأن له دونهم ودون غيرهم الملك والكبارياء والعزة والبهاء، كما قال جل ذكره وتقدست أسماؤه في تنزيله ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^١ فأخبر تعالى أنه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا الذين صاروا يوم الدين من ملكهم إلى ذلة وصغر، ومن دنياهم في المعاد إلى خسار، وأما تأويل قراءة من قرأ ﴿مَالِكُ يَوْمِ الدِّين﴾ فما حذثنا به ... عن عبد الله بن عباس يقول: لا يملك أحد في ذلك اليوم معه حكما كملتهم في الدنيا، ثم قال ﴿لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا مَنْ أَذْنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾^٢ و قال ﴿وَخَشِعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾^٣ و قال ﴿وَلَا يَسْفُعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾^٤.

قال أبو جعفر وأولى التأوileين بالآية وأصح القراءتين^٥ في التلاوة عندي التأويل الأول وهي قراءة من قرأ ملك بمعنى الملك؛ لأن في الإقرار له بالانفراد بالملك إيجاباً لانفراده بالملك، وفضيلة زيادة

^١- سورة غافر آية ١٦.

^٢- سورة النبأ آية ٣٨.

^٣- سورة طه آية ١٠٨.

^٤- سورة الأنبياء آية ٢٨.

^٥- أتبه هنا إلى أن منهج ابن جرير الطبّري رحمة الله في ترجيح بعض وجوه القراءة المتوترة على غيرها غير صحيح لأن كل الأوجه - المتوترة - ملحوظة من النبي ﷺ ثابت عن رب العزة سبحانه وتعالى فلا يجوز لنا أن نصف وجهاً من القراءة أنه أصوب من الآخر، بل كل هذه الأوجه في نفس الدرجة من الرفع.

الملك على المالك إذ كان معلوماً أن لا ملك إلا وهو مالك وقد يكون
الملك لا ملكاً^١.

ولم يخرج الإمام البغوي^٢ - رحمه الله - عمّا أورده ابن جرير
وإن قد كلامه في هذا الموضوع بمقدمة تجمع بين وجهي القراءة
حيث يقول :

‘ قال قوم معناهما واحد مثل فرهين وفارهين وحدرين وحاذرين
ومعناهما رب؛ يقال رب الدار ومالكها. وقيل الملك هو القادر على
اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود ولا يقدر عليه أحد غير الله .

١- محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر الطبرى (٤٢٤-٥٣١)،
جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١/٦٥.

٢- البغوي؛ الحسين بن مسعود بن محمد العلامة أبو محمد الفقيه الشافعى
يعرف بابن القراء ويلقب محبي السنة وركن الدين أيضاً (ت ٥٦١)،
جاوز الثمانين، كان إماماً في التفسير إماماً في الحديث إماماً في الفقه،
تفقه على القاضي حسين وسمع الحديث منه ومن أبي عمر عبد الواحد
المليحي وأبي الحسن الداودي وطائفة آخرهم أبو المكارم فضل الله بن
محمد النوفاني، روى عنه بالإجازة وبقى إلى سنة ستمائة وأجاز للآخر
على بن البخاري وله من التصانيف معلم التنزيل في التفسير، وشرح
السنة، والمصابيح، والجمع بين الصحيحين والتهذيب في الفقه وقد
بورك في تصانيفه ورزق فيها القبول لحسن نيته وكان لا يلقي الدرس
إلا على طهارة وكان قاتعاً ورعاً يأكل الخبز وحده ثم عذل في ذلك
فصار يأكله بزيت مات في شوال سنة ٥١٦ جاوز الثمانين الذهبي، سير
أعلام النبلاء ١٩/٤٣٩-٤٤٢، وينظر عبد الرحمن بن أبي بكر
السيوطى (٨٤٩-٩١١هـ)، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد
عمر، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٣٩٦هـ الطبعة الأولى ٤٩/١.

قال أبو عبيدة مالك أجمع وأوسع لأنه يقال مالك العبد والطير والدواب ولا يقال ملك هذه الأشياء، ولأنه لا يكون مالك لشيء إلا وهو يملكه وقد يكون ملك الشيء ولا يملكه. وقل قوم: ملك أولى لأن كل مالك مالك وليس كل مالك ملكا، ولأنه أوفق لسائر القرآن مثل قوله تعالى «**فَسَعَى إِلَيْهِ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ**» ^١ و«**الْمَلِكُ الْفَدُوسُ**» ^٢ و«**مَلِكُ النَّاسِ**» ^٣.

- أبو عبيدة عمر بن المثنى التيمي مولاه البصري اللغوي العلامة الأخباري صاحب التصانيف روى عن هشام ابن عروة وأبي عمرو بن العلاء وكان أحد أوعية العلم قال ابن ناصر الدين حكى عنه البخاري في تفسير القرآن لبعض لغاته وكان حافظا للعلوم إماما في مصنفاته قال الدارقطني :لا بأس به إلا أنه يتهم بشيء من رأي الخارج. قال الجاحظ لم يكن في الأرض جماعي ولا خارجي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة توفي سنة ٢٠٩ ولما مات لم يحضر جنازته أحد. محمد بن إسحاق أبو الفرج ابن النديم (ت ٣٨٥)، الفهرست، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٨-١٤٣٩هـ، وأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي (ت ٦٤٦هـ)، تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٥٧/١٣، وأiben خلكان، وفيات الأعيان وأئباء الزمان، ٢٣٥/٥، والذهبي، سير أعلام النبلاء ٤٧/٩، والدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٢٤/١.
- ^١ - سورة طه آية ١٢٨ .
- ^٢ - سورة الحشر آية ٢٣ .
- ^٣ - سورة الناس آية ٢ .

- الحسين بن مسعود الفراء أبو محمد البغوي (ت ٥١٦هـ)، معلم التنزيل، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م (ط ٢)، ٤٠/١، وينظر أبو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل النحوي النحاس (ت ٣٣٨هـ)، معاني القرآن الكريم، تحقيق:

وحاول بعض أهل التفسير الجمع بين القراءتين، نحو ما فعل الشوكاني^١ حيث يقول : ”اختلف العلماء أيهما أبلغ ... والحق أن لكل واحد من الوصفين نوع أخصية لا يوجد في الآخر فالملك يقدر على ما لا يقدر عليه الملك من التصرفات بما هو مالك له بالبيع والهبة والعتق ونحوها، والملك يقدر على ما لا يقدر عليه الملك من التصرفات العائدة إلى تدبير الملك وحياطته ورعاية مصالح الرعية فالملك أقوى من الملك في بعض الأمور والملك أقوى من الملك في بعض الأمور. والفرق بين الوصفين بالنسبة إلى الرب سبحانه أن الملك صفة لذاته والملك صفة لفعله“^٢.

-
- محمد علي الصابوني، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ(ط١)، ٦٢-٦١، وأبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندى (ت ٣٧٣هـ)، تفسير السمرقندى، تحقيق: د. محمود مطرجي، بيروت، دار الفكر، ٤١/١، وأبو البركات عبد الله بن أحمد ابن محمود النسفي، تفسير النسفي، دون دار نشر، أو تاريخ ٧/١، وأبو السعود محمد بن محمد العمادى (ت ٩٥١هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٥/١.
- محمد بن علي بن محمد الشوكاني صاحب التصانيف قاضي الجماعة كان مولده يوم الاثنين ٢٨ من ذي قعدة الحرام سنة ١١٧٢، وكانت وفاته في شهر جمادي الآخرة في سنة خمسين بعد المائتين والألف. صديق بن حسن القتوجي (١٢٤٨ - ١٣٠٧)، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م ٢٠١/٣ - ٢٠٥.

- محمد بن علي الشوكاني (١١٧٣هـ - ١٢٥٠)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدرائية من علم التفسير، بيروت، دار الفكر، ٢٢/١، وينظر

المسألة الثالثة: أثر القراءات في التفسير:

إن تنوع القراءات القرآنية في هذه الآية الكريمة يظهر المعنى الكلي للآية الكريمة بأكمل وأجل وجه، وقد علم أهل التفسير أن تنوع القراءات يفضي إلى تنوع المعانى ولذلك راحوا يفضلون بين القراءتين أيهما أمدح الله سبحانه وتعالى، وهذا أمر لا ينبغي أن يكون - أقصد المفضلة بين القراءات - لأن هذه الأوجه إنما ثبتت عن النبي ﷺ. وحقيقة الأمر إن المعنى القرآني لا يكتمل إلا بالجمع بين القراءتين ولبيان ذلك أقول.

معلوم مما تقدم أن الملك هو الحاكم النافذ أمره والذي له الأمر المطلق دون غيره، وأن الملك هو الذي ترجع له ملكية الأعيان، ويكون له حق التصرف فيها. وهذا الأمر هو الله سبحانه وتعالى في الدارين على الحقيقة، يقول تعالى: «إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلَيْسَ تَوَكَّلَ الْمُتَوَكِّلُونَ»^١، ويقول سبحانه : «فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ»^٢، فالله سبحانه وتعالى هو الملك الحق في الدارين. وهو سبحانه مالك كل شيء يستخلف في ملكه من يشاء من عباده يقول سبحانه وتعالى : «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ

محمود أبو الفضل الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ٨٣/١.

^١ سورة يوسف آية ٦٧.

^٢ سورة طه آية ١١٤.

الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتَعْزُّ مِنْ تَشَاءُ وَتُنْزَلُ مِنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرِ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^١ ، وهذا الأمر على حقيقته في الدارين أيضا.

لكن يرى في الدنيا من يوصف بهذا الوصف المذكور في الآية الكريمة - أقصد - ملك ومالك. وهذه الآية الكريمة - موضوع البحث - إنما تتحدث عن يوم مخصوص وهو يوم القيمة، وهذا اليوم لا يشهد فيه ملك لا على الحقيقة ولا على المجاز إلا الله سبحانه وتعالى، وكذلك لا يشهد فيه مالك لا على الحقيقة ولا على المجاز إلا الله سبحانه وتعالى ، فملك هذا اليوم هو مالكه. ولأنه يشهد في الحياة الدنيا فرق بين الملك والمالك جاءت هذه الآية الكريمة في ذروة البلاغة مشيرة إلى قصر هاتين الصفتين على الله سبحانه وتعالى في ذلك اليوم.

ولو اقتصرت الآية الكريمة على جانب واحد من جوانب القراءة نحو ملك لجاز أن يطرح سؤال فمن مالكه ؟ أو هل هناك مالك آخر في هذا اليوم ؟ ...

فانتظر أخي الكريم وفقنا الله وإياك لكل خير كيف أن هذه الآية الكريمة بقراءتها بيَّنت أن الله سبحانه وتعالى هو الحكم المطلق يوم القيمة، والملك المتفرد في ملكيه هذا اليوم، وحالت دون أن يجيئ في النفس سؤال قد يُزلل الإنسانَ عن جادة الطريق.

^١ - سورة آل عمران آية ٢٦.

المبحث الثاني: قوله سبحانه وتعالى ﴿يَخْادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^١.

المسألة الأولى: القراءات الواردة في هذه الآية:

تنوعت أوجه الأداء في قوله تعالى ﴿يَخْدَعُونَ﴾ من حيث إثبات الألف وحذفها، وهذا ما أظهره أهل هذا الفن، يقول ابن خالويه^٢: ”قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ يقرأ بضم الياء واثبات الألف، وبفتح الياء وطرح الألف. فالحججة لمن أثبتها أنه عطف لفظ الثاني على لفظ الأول ليشاكل بين اللفظين، والحججة لمن طرحها أن (فاعل) لا يأتي في الكلام إلا من فاعلين يتسااويان في الفعل كقولك قاتلت فلانا وضاربته

١- سورة البقرة آية ٩.

٢- ابن خالويه: الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله النحواني اللغوي صاحب المصنفات أصله من همدان ثم دخل بغداد فأدرك بها مشايخ هذا الشأن كأين دريد وأبن مجاهد وأبي عمر الزاهد واشتغل على أبي سعيد السيرافي ثم صار إلى حلب فعظمت مكانته عند آل حمدان وكان سيف الدولة يكرمه وهو أحد جلسائه وله مع المتنبي مناظرات وقد سرد له ابن خلkan مصنفات كثيرة منها كتاب ليس في كلام العرب وكان به داء كانت به وفاته عام ٣٧٠هـ إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء ابن كثير (٤٧٧هـ)، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ،

والمعنى بينهما قريب لا ترى إلى قوله تعالى قاتلهم الله أي قتلهم
فكذلك يخادعون بمعنى يخدعون^١.

وبَيْنَ ابن مجاهد أصحاب كل وجه حيث قال: «قرآنافع» وابن
كثير وآبُو عمرو «وما يخادعون» بالآلف والياء مضمومة، وقرأ
 العاصم وابن عامر^٢، وحمزة^٣، والكسائي «وما يخدعون» بفتح الياء
غير ألف^٤.

^١- ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٦٨.

^٢- نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاه أبو رويم المقرئ
المدني أصله من أصبهان أحد الأعلام هو مولى جعونة بن شعوب الليثي
حليف حمزة بن عبد المطلب أو حليف أخيه العباس وقيل له عدة كنى
منها أبو نعيم وأشهرها أبو رويم قرأ على طائفة من تابعي أهل المدينة
وقال أبو قرة موسى بن طارق سمعته يقول قرأت على سبعين من
التابعين مات سنة ١٦٩ هـ رحمة الله تعالى. محمد بن أحمد بن عثمان
الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار،
تحقيق: بشار عواد معروف وشعييب الأنطاوط وصالح مهدي عباس،
بيروت، مؤسسة الرسالة، ٤١٤٠ هـ الطبعة الأولى، ص ١٠٧-١١١.

^٣- عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فیروزان بن هرمز
الإمام العلم مقرئ مكة وأحد القراء السبعة أبو عبد الکنائی الداری
المکی مولی عمر و ابن علقمة الکنائی وثقة النسائي وعاص خمسا
وسبعين سنة ولد بمکة سنة ٨٤ ومات سنة ١٢٠. ابن خلکان، وفيات
الأعيان وأنباء الزمان، ٤١/٢، وينظر الذهبي، سیر أعلام النبلاء، ٥/٣١٨-٣١٩.

^٤- الیحصیبی عبد الله بن عامر إمام أهل الشام في القراءة عبد الله بن عامر
بن یزید بن تمیم بن ربیعه أبو عمران قال ابن عامر قبض رسول الله ﷺ

وأشار ابن زنجلة إلى أوجه القراءة الواردة في هذه الآية الكريمة، واحتج لكل وجه حيث قال: احتج أبو عمرو بأن قال إن الرجل يخادع نفسه ولا يخدعها.

قال الأصمعي: ^٣ ليس أحد يخدع نفسه إنما يخدعها. وجة من قرأ بغير ألف أن الله أخبر عن هؤلاء المنافقين أنهم يخادعون الله والذين آمنوا بقولهم آمنا بالله وباللهم الآخر فثبت لهم مخادعتهم الله والمؤمنين ثم يخبر عنهم عقب ذلك أنهم لا يخادعونه ولا يخدعون إلا أنفسهم فيكون قد نفى عنهم في آخر الكلام ما ثبته لهم في أوله ولكنه أخبر أن المخادعة من فعلهم ثم إن الخداع إنما يحيق بهم خاصة دونه ^٤.

ولي سنتان ولني قضاء دمشق بعد أبي إدريس الخواري توفي ابن عامر سنة ١١٨. الذهبي، معرفة القراء الكبار، ص ٨٢-٨٦.

١- حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام الحجة شيخ القراءة أبو عمارة التيمي مولاهم الكوفي الزيات ثقة توفي سنة ١٥٨، وله ثمان وسبعون سنة فيما بلقا وال الصحيح وفاته في سنة ١٥٦ رحمة الله .
الذهبى، سير أعلام النبلاء ٩٠/٧-٩٢.

٢- ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ص ١٤١، وينظر ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٨٧.

٣- الأصمعي الإمام العلامة الحافظ حجة الأدب لسان العرب أبو سعيد عبد الملك بن قریب بن عبد الملك بن علي بن أصم البصري اللغوي الأخباري أحد الأعلام ولد سنة بضع وعشرين ومائة مات الأصمعي سنة ٢١٥، وقال محمد ابن المثنى والبخاري سنة ١٦ ويقال عاش ٨٨ سنة رحمة الله .
الذهبى، سير أعلام النبلاء ١٧٥/١٠-١٧٦.

٤- ابن زنجلة ، حجة القراءات، ص ٨٧.

المسألة الثانية: من أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة

دارت أقوال أكثر المفسرين في تأويل هذه الآية الكريمة على بيان معنى يخدعون و يخادعون، وتزنيه الله سبحانه وتعالى أن يتحقق فيه معنى المخادعة، ومنهم من جوَّز ذلك من حيث اللغة، ومنهم من قال هذا مجاز والمراد يخدعون عباد الله ورسله^١، وفَسَرُ الإمام العكبري^٢ رحمه الله تعالى أوجه القراءات الواردة في هذه الآية

^١- ينظر محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج أبو عبد الله القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، القاهرة، دار الشعب، ١٣٧٢هـ الطبعة الثانية/١٩٥-٢٠٨، والبيضاوي (ت ٧٩١هـ)، أنوار التزيل وأسرار التأويل، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، بيروت، دار الفكر، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، وإسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء ابن كثير (٥٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ/٤٩١، وأحمد بن محمد الهائم المصري شهاب الدين (٨٥٣-٨١٥هـ)، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق: د.فتحي أنور الدايبولي، دار الصحابة للتراث، القاهرة، ١٩٩٢م (ط١١/٥٦)، وابن منظور، لسان العرب، ١٧٧/٣ و ٦٣/٨، ومحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٧٢١هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ١/٧٢.

^٢- العكبري؛ أبو البقاء صاحب الأعراب واللباب عبد الله بن الحسين بن عبد الله الشیخ الصیریر النحوی الحنبلي صاحب اعراب القرآن العزیز وكتاب اللباب في النحو وله حواش على المقامات ومفصل الزمخشري وديوان المتنبي وغير ذلك وله في الحساب وغيره وكان صالحًا دينًا، مات وقد قارب الثمانين رحمه الله وكان إماماً في اللغة فقيها مناظراً (٥٣٨-٦٦٦هـ) . ابن كثير، البداية والنهاية ٨٥/١٣

الكريمة حيث قال: «**وَمَا يَخْدِعُونَ**» أكثر القراءة بالآلف وأصل المفاعة أن تكون من الاثنين وهي على ذلك هنا : **لَا هُمْ فِي خَدْاعٍ** ينزلون أنفسهم منزلة أجنبى يدور الخداع بينهما فهم يخدعون أنفسهم وأنفسهم تخدعهم . وقيل المفاعة هنا من واحد كقولك سافر الرجل وعافت اللص ، ويقرأ **يَخْدِعُونَ** بغير آلف مع فتح الياء... وأنفسهم نصب بأنه مفعول وليس نصبه على الاستثناء لأن الفعل لم يستوف مفعول له قبل إلا ^{١٤} .

المسألة الثالثة : أثر القراءات في التفسير :

ان الجمع بين أوجه القراءات القرآنية الواردة في هذه الآية الكريمة يكشف النقاب عن حقيقة نفسية المنافقين وسفه عقولهم وذلك من عدة أوجه؛ الأولى منها أنهم يحاولون خداع الله سبحانه وتعالى المطلع على السرائر الذي لا تخفي عليه خافية ولا يكون ذلك منهم مرة واحدة بل يخدعون مرأة بعد مرأة مستمرين في هذا العمل وحقيقة الأمر أنهم في كل مرة يحاولون مخداعة الله إنما يخدعون فيها أنفسهم وهذا ما بيئته القراءة الأولى **وَمَا يَخْدِعُونَ** ، والوجه الثاني أنهم يديرون مخداعة أنفسهم وفي هذا بيان لسخف عقولهم؛

^١- أبو البقاء محب الدين عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن أبي البقاء العكبري (٥٣٨-٦٦٦هـ)، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البوطاوى، دار إحياء الكتب العربية/١٧.

فالذى يكذب على نفسه مرة بعد مرة إنما هو سفيه لا عقل له يردد عليه
عن مثل هذه الفعلة. والوجه الثالث هو تحقيق خداعهم لأنفسهم، أي
أن ثمرة المخادعة الطويلة تكون بتحقق اندفاع أنفسهم بزيف أقوالهم
وهذا ما تظاهر القراءة الثانية **﴿وَمَا يَخْدِعُونَ﴾**، وتشير هذه القراءة
أيضا إلى سفاهة عقول المنافقين. فهم كالذى يكذب كذبة فيصدقها،
وهذه سفاهة ما بعدها سفاهة.

المبحث الثالث: قوله سبحانه وتعالى ﴿فَأَزَّلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانُوا فِيهِ﴾ .

المسألة الأولى: القراءات الواردة في هذه الآية
تنوعت أوجه الأداء في قوله تعالى ﴿فازلهم﴾ من حيث إثبات
الألف وحذفها على ما بيّنه أهل الاختصاص.

يقول ابن خالويه: " قوله تعالى ﴿فَازْلَهُمَا﴾ يقرأ باثبات الآلف والتحفيف، وبطرحها والتشديد. فالحججة لمن ثبت الآلف أن يجعله من الزوال والانتقال عن الجنة، والحججة لمن طرحها أن يجعله من الزلل وأصله فازْلَهُمَا فنقلت فتحة اللام إلى الزاي فسكتت اللام فادغمت

٣٦ - سورة البقرة آية

^٢- ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٧٤، وينظر ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٩٤.

وبيَّن ابن مجاهد أصحاب كل وجه فقال: "قرأ حمزة وحده فازالهما بـألف خفيفة، وقرأ الباقيون **(فازلهما)** مشددة بـغير ألف".^١

المسألة الثانية: من أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة:

تکاد تتفق مناهج المفسرين في بيان معنى هذه الآية الكريمة وإن تتوعد أفاظهم بذلك، ولعلهم أن معنى الآية الكريمة يعتمد على القراءات الواردة فيها راحوا يفسرون معنى أزلَّ وأزالَ ، وبينون كيفية تحقق هذا الأمر وحقيقة. وفي ذلك يقول الإمام القرطبي -رحمه الله-: "قرأ الجماعة **(فازلهما)** بـغير ألف من الزلة وهي الخطيئة أي استزللهمَا وأوقعهمَا فيها. وقرأ حمزة **(فازلهما)** بـألف من التنجية أي نحاها يقال أزلته فزالت ... من الزوال أي صرفهمَا عما كان عليه من الطاعة إلى المعصية . قلت-القول للقرطبي- وعلى هذا تكون القراءتان بمعنى إلا أن قراءة الجماعة أمكن في المعنى ... وليس للشيطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان إنما قدرته على إدخاله في الزلل فيكون ذلك سببا إلى زواله من مكان إلى مكان بذنبه . وقد قيل إن معنى أزللهمَا من زل عن المكان إذا تنجى فيكون في المعنى كقراءة حمزة من الزوال... فآخر جهema تأكيد وبيان للزوال إذ

^١- ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ص ١٥٤

ـ إن الذي أورده الإمام القرطبي رحمه الله في هذه المسألة غير صحيح فكلا القراءتين بنفس الفصاححة ولا يجوز أن نقدم قراءة على أخرى لأن كلا الوجهين مأخوذ عن النبي ﷺ.

يمكن أن يزولا عن مكان كان فيه إلى مكان آخر من الجنة وليس كذلك إنما كان إخراجهما من الجنة إلى الأرض“^١.

المسألة الثالثة : أثر القراءات في التفسير :

إن تنوع أوجه الأداء الوارد في هذه الآية الكريمة يثير المعنى القرائي، بحيث يعطي صورة متكاملة لموضوع الآية الكريمة، فالقراءة الأولى «فازلهم» تدل على أمرين:

الأول: إن الشيطان -لعنه الله- لم يقصد النصيحة لسيدنا آدم وحواء عليهما السلام، بل كذبَهُما وقد أدى ذلك إلى خطيئتهما، وهذا دينه مع بني آدم كلهم يزيّن لهم كل الشهوات ليزلّهم فتنزق أقدامهم عن جادة الطريق.

الثاني: إن الشيطان ليس له على بني آدم من سلطان إلا أن يعدهم ويمتّهم، يقول الله سبحانه وتعالى «وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ

^١ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١/٣١١-٣١٢، وينظر الطبرى، جامع البيان، ١/٢٣٤-٢٣٥، مع التنبية إلى أنه لا يتبع فى ترجيحه بين القراءات المتواترة ورد بعضها، وينظر العكبرى، التبيان فى إعراب القرآن، ١/٣١، والبضاوى، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ١/٢٩٧-٢٩٨، والنسفى، تفسير النسفي، ١/٣٨، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعال比 (ت ٨٧٦ھـ)، الجواهر الحسان فى تفسير القرآن، بيروت، مؤسسة الأعظمى، ١/٥١.

الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَقْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي
عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ ذَهَبْتُكُمْ فَاسْتَجِبْتُمْ لِي ﴿١﴾

وتدل القراءة الثانية **﴿فَازَ الْهَمَاءُ﴾** على أمرين أيضاً:

لأول: إن خروج سيدنا آدم وحواء عليهما السلام من الجنة كان بسبب فتنة إبليس لهما.

الثاني: إن هدف الشيطان المنشود هو إخراج الإنسان وتحيته عن رحمة الله وجنته، على نحو ما فعل مع سيدنا آدم وحواء عليهما السلام، وهذا يوجب على الإنسان أن يحذر كل الحذر من فتن الشيطان، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَقْتُلُكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبْوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾.

المبحث الرابع: قوله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذْ وَاعْدَنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ تَخَذَّلُمُ الْعَجْلُ مِنْ بَعْدِهِ وَأَئْشَمَ ظَالِمُونَ﴾^٣ :

المسألة الأولى: القراءات الواردة في هذه الآية:
تنوع أوجه الأداء في قوله تعالى «واعدنا» من حيث إثبات
لألف وحذفها، وهذا ما بينه أهل القراءات؛ يقول ابن زنجلة: «قرا أبو

- سورة إبراهيم آية ٢٢ -

- سورة الأعراف آية ٢٧ -

٥١ - سورة البقرة آية

عمرو «وإذ وعدنا» موسى بغير ألف ... وجنته أن الموعدة إنما تكون بين الآدميين وأما الله جل وعز فإنه المنفرد بالوعد والوعيد ويقوى هذا قوله تعالى : «إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ»^١ ، وقرأ الباقيون «وإذ وعدنا» بالآلف، وجحدهم أن الموعدة كانت من الله ومن موسى فكانت من الله أنه واعد موسى لقاءه على الطور ليكلمه ويكرمه بمناجاته، وواعد موسى ربه المصير إلى الطور لما أمره به، ويجوز أن يكون المعنى على إسناد الوعيد إلى الله، نظير ما تقول : طارقت نعلي وسافرت والفعل من واحد على ما تكلمت به العرب^٢.

المسألة الثانية : من أقوال المفسرين في هذه الآية :

أورد الإمام الطبرى رحمة الله في تفسير هذه الآية الكريمة قوله شافيا في بيان معانى القراءات الكريمة الواردة فيها حيث قال : " قرأ بعضهم «واعدنا» بمعنى أن الله تعالى واعد موسى ملاقاة الطور لمناجاته فكانت الموعدة من الله لموسى ومن موسى لربه، وكان من حجتهم على اختيارهم قراءة واعدنا على وعدنا أن قالوا : كل إيعاد كان بين اثنين لللتقاء أو الاجتماع فكل واحد منها موعد صاحبه ذلك ... وقرأ بعضهم « وعدنا» بمعنى أن الله الواعد موسى والمنفرد بالوعد دونه، وكان من حجتهم في اختيارهم ذلك أن قالوا إنما تكون الموعدة

^١- سورة إبراهيم آية ٢٢.

^٢- ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٩٦، وينظر ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ص ١٥٥.

والصواب عندنا في ذلك من القول أنهم قراءات قد جاءت
بهم الأمة وقرأت بهما القراء وليس في القراءة بإدحافها إبطال معنى
الأخرى وإن كان في إدحافها زيادة معنى على الأخرى من جهة الظاهر
والتلاؤ فلما من جهة المفهوم بهما فهما متفقان؛ وذلك أن من أخبر
عن شخص أنه وعد غيره اللقاء بموضع من المواقع ، فمعلوم أن
الموعود بذلك واعد صاحبه من لقائه بذلك المكان مثل الذي وعده من
ذلك صاحبة ، إذا كان وعده ما وعده إياه من ذلك عن اتفاق منها
عليه . ومعلوم أن موسى صلوات الله عليه لم يعده ربها الطور إلا عن
رضا موسى بذلك ، إذ كان موسى غير مشكوك فيه أنه كان بكل ما
أمر الله به راضيا ، وإلى محبته فيه مسارعا ، ومعقول أن الله تعالى لم
يعد موسى ذلك إلا وموسى إليه مستجيب . وإذا كان ذلك كذلك فمعلوم
أن الله عز ذكره قد كان وعد موسى الطور ، ووعده موسى اللقاء ،
وكان الله عز ذكره لموسى واعداً ومواعداً له المناجاة على الطور ،
وكان موسى واعداً لربه مواعداً له اللقاء . فبأي القراءتين من وعد

- سورة إبراهيم آية ٢٢ -

٧ - سورة الأنفال آلة

وواعد قرأ القارئ فهو الحق في ذلك من جهة التأويل واللغة مصيب لما وصفنا من العلل قبل، ولا معنى لقول القائل: إنما تكون الموعادة بين البشر، وأن الله بالوعد والوعيد منفرد في كل خير وشر. وذلك أن انفراد الله بالوعد والوعيد في الثواب والعقاب والخير والشر والنفع والضر الذي هو بيده وإليه دون سائر خلقه لا يحيط الكلام الجاري بين الناس في استعمالهم إياه عن وجوهه، ولا يغيره عن معانيه^١.

المسألة الثالثة : أثر القراءات في التفسير

إن تنوع القراءات القرآنية الكريمة في هذه الآية الكريمة يظهر العديد من المعاني التي لم تكن لتظهر لو اقتصرت الآية الكريمة على وجه من القراءة دون غيره؛ حيث دلت القراءة الأولى « وعدنا » على أن الله سبحانه وتعالى صاحب الأمر المطلق وهو الأمر وحده ، وهو الذي أكرم سيدنا موسى بهذا الوعد. ودللت القراءة الثانية « واعدنا » على أن الله سبحانه وتعالى هو صاحب الوعد، وقد أكرم سيدنا موسى عليه السلام بأن أشركه في الموعادة التي هي من جانبه امتناع لأمر

^١ - الطبرى، جامع البيان /١، ٢٧٩، وينظر البغوى، معلم التنزيل /١، ٧٢، وعبد الرحمن بن علي ابن محمد ابن الجوزى (٥٠٨-٥٩٧ھ)، زاد المسير في علم التفسير، بيروت، المكتب الإسلامي، ٤١٤٠ھ - الطبعة الثالثة، ٧٩، والعكربى، التبيان في إعراب القرآن، ١/٣٦، والقرطبى، الجامع لأحكام القرآن، ١/٣٩٤، والبيضاوى، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ١/٣٢٣، وابن منظور، لسان العرب ٣/٤٦٢.

الله سبحانه وتعالى، ومن هذا الوجه تكون هذه الآية الكريمة ظاهرة في الثناء على سيدنا موسى عليه السلام بأنه استجاب وامتثل لأمر الله سبحانه وتعالى في كل ما أمره به.

المبحث الخامس: قوله سبحانه وتعالى ﴿بَلِّيْ مِنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَاحْاطَتْ بِهِ خَطِيئَةٌ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^١.

المسألة الأولى: القراءات الواردة في هذه الآية:
تنوعت أوجه الأداء في قوله تعالى: ﴿خطيئته﴾ من حيث إثبات الآلف وحذفها، وهذا ما أظهره أهل هذا الفن؛ يقول ابن زنجلة رحمه الله : قرأ نافع ﴿وأحاطت به خطيئاته﴾ بالآلف. وحجته أن الإحاطة لا تكون للشيء المنفرد إنما تكون لأشياء، كقولك أحاط به الرجال وأحاط الناس بفلان إذا داروا به، ولا يقال أحاط زيد بعمرو. وجة أخرى: جاء في التفسير قوله ﴿بلي من كسب سيئة وأحاطت به خطيئاته﴾ أي الكبار أي أحاطت به كبار ذنبه.

وقرأ السباقون ﴿خطيئته﴾ على التوحيد. وحجتهم أن الخطيئة ليست بشخص، فإذا لم تكن شخصا واشتملت على الإنسان جاز أن يقال : أحاطت به خطيئته. وجة أخرى: جاء في التفسير ﴿من كسب

^١ - سورة البقرة آية ٨١

سيئة》 أي الشرك «وأحاطت به خطئته» أي الشرك الذي هو سيئة

١٤

المسألة الثانية: ملأ أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة:
تنوعت أساليب المفسرين في بيان معنى هذه الآية الكريمة،
فمنهم من أوجز في تفسيره لها ومنهم من أسلبه. ولا يظهر المعنى
متكاملا دون تكرار سأنظم عددا من أقوالهم في عبارة واحدة وأقول:
قوله سبحانه وتعالى «من كسب سيئة» السيئة الشرك وقيل
السيئة الكبيرة، «وأحاطت به» الإحاطة الإحداث بالشيء من جميع
نواحيه ^٣ وقيل المعنى أحاطت بحسنه أي أحبطتها من حيث أن
المحيط أكثر من المحاط به، أو يكون معنى أحاطت به أهلكته ^٤ وقيل

^١- ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٠١، وينظر ابن مجاهد، كتاب السبعة
في القراءات، ص ٦٢، وابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٨٣.

^٢- ينظر البيغوي، معلم التنزيل، ٩١/٨٩؛ عبد الرزاق بن همام الصناعي
١٤٢٦هـ، تفسير القرآن، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، الرياض،
مكتبة الرشد، ١٤١٥هـ الطبعة الأولى ١/٥١، وسفيان بن سعيد ابن
مسروق أبو عبد الله الثوري (ت ١٦٦١هـ)، تفسير سفيان الثوري،
بيروت، دار الكتب العلمية، ٤٠٣هـ الطبعة الأولى ١/٤٧، وأبو الفرج
عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (٥٩٧-٥٠٨هـ)، نواسخ
القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ٤٠٥هـ الطبعة الأولى ص ٤٣.

^٣- ينظر البيغوي، معلم التنزيل ٩١/٨٩.

^٤- ابن الجوزي، زاد المسير ١/٨٠١، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١/
١٢٠.

الإحاطة به أن يصر عليها فيموت غير تائب^١، وقيل أي استولت عليه وشملت جملة أحواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه، وهذا إنما يصح في شأن الكافر لأن غيره وإن لم يكن له سوى تصديق قلبه وإقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به، وقيل هو من وافق يوم القيمة وليس له حسنة بل جميع أعماله سيئات، وقيل يجوز أن يحمل ذلك على من أتى السيئة مستحلا لها «خطيئته» الخطيئة الكبيرة و بالجمع الكثرة نحو قوله تعالى «وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوْهَا»^٢، وقيل هي الكفر، وقيل كل عمل أوجب عليه النار.

المسألة الثالثة : أثر القراءات في التفسير

إن تنوع القراءات الوارد في هذه الآية الكريمة يظهر المعنى القرآني بأكمل وجه ؛ فهذه الآية الكريمة تبيّن العمل الذي يهلك صاحبه ويدخله النار، وقد ظهر من خلال القراءات القرآنية الواردة فيها أن هذا العمل قد يكون مفرداً يبطل ما سواه، كالكفر الذي يفسد باقي الأعمال يقول تعالى «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجَّ وِعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتُرُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا

^١ - ينظر البغوي، معلم التنزيل ١/٨٩، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١/١٢٠.

^٢ - سورة النحل آية ١٨.

يهدي القوم الطالبين^١. وقد يكون متبايناً كارتكاب الفواحش عامة، أو الحرص على الصغائر وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ : "... إياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه- وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلا -^٢ كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سواداً فأججو ناراً وأنضجوا ما قدروا فيها"^٣.

المبحث السادس : قوله سبحانه وتعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَبِهِ وَرَسُولِهِ لَا تُفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفرانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^٤.

المسألة الأولى : القراءات الواردة في هذه الآية:

تنوعت أوجه الأداء في قوله تعالى ﴿كِتَبِهِ﴾ من حيث إثبات الآلف وحذفها وهذا ما أظهره أهل هذا الفن؛ يقول ابن زنجلة: "قرأ حمزة والكسائي ﴿وكتابه﴾ وحاجتهما أن الكتاب هو القرآن فلا وجه

^١- سورة التوبة آية ١٩.

^٢- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٣٥٢/١.

^٣- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٢٠/١.

^٤- سورة البقرة آية ٢٨٥.

لجمعه، وحجة أخرى، قال ابن عباس: الكتاب أكثر من الكتب. قال أبو عبيدة: أراد كل كتاب الله بدلالة قوله ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾^١ فوحد إرادة الجنس، وهذا كما تقول كثر الدرهم في أيدي الناس تريد الجنس كله.

وقرأ الباقون ﴿وَكُتبَه﴾ وحجتهم ما تقدم وما تأخر ما تقدم ذكر بلفظ الجمع وهو قوله كل آمن بالله وملائكته وما تأخر ورسله فكذلك كتبه على الجمع ليختلف الكلام على نظام واحد^٢.

المسألة الثانية: من أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة:
تكاد عبارات المفسرين في هذه الآية الكريمة لا تختلف، ولذلك رأيت أن أورد عبارة الإمام الطبرى رحمة الله - التي هي جامعة لأقوال جل المفسرين - وأحيل إلى عدد من أقوالهم^٣.

يقول الإمام الطبرى: ﴿(وَكُتبَه)﴾ على وجه جمع الكتاب ، على معنى : والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وجميع كتبه التي أنزلها على أنبيائه ورسوله ... ﴿وَكُتابَه﴾ بمعنى المؤمنون كل آمن بالله وملائكته وبالقرآن الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ . وقد روى عن ابن

^١ - سورة البقرة آية ٢١٣

^٢ - الجوزي، نواخ القرآن، ص ٣

^٣ - البيضاوى، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٣٥٢/١

عباس أنه كان يقرأ ذلك **«وكتابه»** ويقول : الكتاب أكثر من الكتب ^١.
وكان ابن عباس يوجه تأويل ذلك إلى نحو قوله **«والعصر»** * إنَّ
الْإِنْسَانَ لَفِي حُسْنٍ ^٢ بمعنى جنس الناس، وجنس الكتاب، كما يقال:
ما أكثر درهم فلان وديناره. ويراد به جنس الdrاهم والدناير ^٣.

المسألة الثالثة: أثر القراءات في التفسير:

إن القراءات القرآنية الكريمة الواردة في هذه الآية الكريمة
تظهر عمق المعنى القرآني وسعة دلالته ؛ فالقراءة الأولى **«كتبه»**
تدل على أن أصل الكتب السماوية واحد وهي كلها من عند الله سبحانه
وتعالى، فمن يؤمن بالله حقاً فلابد أن يؤمن بجميع كتبه ، وقد غضب
الله على من انكر شيئاً منها يقول تعالى: **«وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ**
النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَلَوُنَ
الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» ^٤، ومن هذه الكتب القرآن الكريم، فلا
يسمي مؤمناً من لم يؤمن بالقرآن الكريم الذي هو أحد الكتب الإلهية .

^١ - ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢ / ١٢ .

^٢ - سورة العصر آية ١ و ٢ .

^٣ - ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢ / ١٢ ، والصنعاني، تفسير القرآن، ١ / ٥١ .

^٤ - سورة البقرة آية ١١٣ .

والقراءة الثانية «كتابه» تدل على أن مضمون هذه الكتب السماوية في توحيد الله سبحانه وتعالى - كله واحد، ولا تناقض بينها ، لذلك فإننا نجد القرآن الكريم يشير إلى الكتب التي أنزلت على الأنبياء السابقين بـ(آل) التي هي للعهد، يقول تعالى: «وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ»^١ ، «قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ أَكَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي بَيِّنًا»^٢ ، «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ الْبَيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ»^٣ ، وهذا الكتاب هو نفسه الذي أنزل على سيدنا محمد ﷺ ، يقول تعالى «نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التُّورَةَ وَالْأَنْجِيلَ»^٤ . فمن لم يؤمن بالكتاب الذي أنزل على سيدنا محمد ﷺ لا يجوز أن يوصف بأنه مؤمن. وهذه القراءة فيها زيادة تخصيص بالقرآن الكريم، وكأنه خلاصة الإيمان بالكتب السابقة؛ فمن آمن بالكتب السابقة حقاً فسيؤمن بهذا الكتاب الكريم، ومن لم يؤمن بهذا الكتاب فلم يكن قد آمن حقاً بالكتب السابقة. وهذا ما أوصلت به جميع الرسل أتباعها، وقد أخذ الله

^١ - سورة البقرة آية ٥٣.

^٢ - سورة مريم آية ٣٠.

^٣ - سورة البقرة آية ٢١٣.

^٤ - سورة آل عمران آية ٣.

سبحانه وتعالى عليهم الميثاق بذلك، يقول تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لِمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةً ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتُنَصِّرُنَّهُ قَالَ أَفَرَرْتُمْ وَأَخْذَنُتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفْرَرْنَا قَالَ فَاَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^١.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بفضله تتم النعمات، وبنوره تنقشع الظلمات، وبجوده وكرمه يتجاوز عن الزلات. أشكره سبحانه على ما يسره لي من اتمام هذا البحث، وإظهاره إلى حيز الوجود بما هو عليه الآن. وتوصلت في هذا البحث إلى أهم النتائج الآتية:

- لقراءات القرآنية الكريمة عميق الأثر في التفسير؛ فبعض القراءات تؤكد الأخرى، وبعضها يزيدها بياناً، وبعضها يكسبها معانٍ جديدة.
- إن الفهم الصحيح والشمولي للاية القرآنية الكريمة يجب أن يكون بالجمع بين القراءات الواردة فيها.
وأوصي طلبة العلم أن تتضاد جهودهم، في سبيل خدمة كتاب الله عز وجل، وإظهار أثر القراءات القرآنية في جميع المجالات، العلمية والفقهية والبيانية ...

^١- سورة آل عمران آية ٨١.

وختاماً أسائل الله العلي القدير ، بفضله وجوده وكرمه، أن يوفق
كافة المسلمين إلى كل خير في دينهم ودنياهم .

خلاصة البحث:

أظهرت في هذا البحث المتواضع اللحمة الوشيجة بين القراءات القرآنية
الكريمة والتفسير، حيث بيّنت من خلال الدراسة الموضوعية لآيات قرآنية
كريمة في سورة البقرة كيف أن القراءات القرآنية الكريمة توسيع المعنى
وتظاهره بأكمل وأجلٍ صورة ، وكان كل وجه من أوجه القراءة آية مستقلة،
إلا أن المعنى الكلي لآلية الكريمة لا يظهر إلا بالجمع بين القراءتين، وهذا
يدل على بلاغة القرآن الكريم وإيجازه، وهو وجه من أوجه الإعجاز
القرآنـي.